

# للبعث

## رصيد في ضمير الأمة

أيها الرفاق<sup>(١)</sup>

كانت بالفعل أمنية غالية أن ألتقي بمناضلي البعث في هذه المدينة المناضلة . . انني أعطي لتأثير المكان أهمية خاصة فهناك في الوطن الواسع بعض الأمكنة، بعض المناطق، بعض المدن تتجسد فيها معاني قومية ونضالية أكثر مما تتجسد وتمثل في غيرها من الأمكنة، ولاشك أن هذه المدينة هي من الأماكن المرموقة في تاريخ النضال العربي الحديث، وكان طبيعياً جداً أن ينشأ حزب البعث فيها، وأن ينمو ويأخذ طابعاً شعبياً أصيلاً عميقاً، فحزب البعث أيها الرفاق، ولد من البيئة الوطنية، قبل أي شيء آخر، الوطنية بمعناها البسيط الصافي كما يفهمها شعبنا وكما يفهمها كل شعب، كانت هي المهدي الذي نشأ وترعرع فيه حزبكم .

قبل الأفكار والنظريات، قبل التطرق الى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية كان هناك جو هو الغالب، هو الطاغى، هو المؤثر بعمق، هو المحرك والدافع: ذلك هو جو الوطنية المكافحة ضد الاستعمار، ضد الأجنبي الدخيل، ضد الاستعباد، ضد الاحتلال. وإذا سألتهم عن سر أصالة هذا الحزب، وعن سر صموده طوال هذه السنين، وعن سر قربيه من روح الشعب، ومن أوساط الشعب . . فالجواب في هذا الذي ذكرت بأنه نشأ نشأة طبيعية سليمة سوية، نشأ في بيئة ومن وسط وعلى أيدي شباب رضعوا الوطنية منذ الصغر، وعاشوا بين أهل وجيران يتحسسون بهذا الشعور القومي، ويلبون نداءه، فكانت نشأة الحزب اذن منذ بدايتها سليمة، بمعنى انها عبرت عن أسمى وأرفع وأقدس شعور في الانسان، شعور الدفاع عن الوطن، وعن

(١) حديث في اجتماع منظمة الحزب في طرابلس في حزيران ١٩٧١ .

الكرامة وعن الحرية، وبمعنى أن هذه النشأة كانت متصلة بروح الشعب تستلهم هذه الروح وترجع إليها كلما التبست الأمور وتعتبرها أصح مقياس، وأصدق مقياس، قبل الأفكار وقبل النظريات. ولأن أفكار الحزب اهدت بهذه الروح الوطنية الشعبية ظلّت قريبة من الحياة بعيدة عن التطرف، وعن الخطأ، بعيدة عن الشذوذ، بعيدة عن الكذب، والنفاق، لأن الانطلاق من الكتب وما يسجل في الكتب قد يسمح أحياناً بافتراق بين القول والعمل. . بين الفكر والسلوك، ولكن عندما يكون الانطلاق من الجوارب والتربة الوطنية الشعبية يكون للحركة، للحزب، رصيد من الصدق لا ينضب. وهذا ما يفسر كيف استطاع الحزب أن يتغلب على عديد من محاولات التشويه والتزييف خلال تاريخ مسيرته الطويلة، لأنه تسلح بتلك الأصالة الأولى.

وكما بدأ الحزب يليي الاندفاعات الوطنية العفوية ثم أخذ ينمو وينضج ويتعمق في تلك الوطنية حتى يعطيها المضمون الحي القوي المتين الذي يكفل لها الصمود والدوام والنصر، فتوسّع وتعمّق في معاني الوطنية حتى كشف عن الجوانب الاجتماعية في حياة الوطن والمواطن وكان بذلك سباقاً اذ جمع الثورة القومية التي تعني التحرر من الاستعمار والتحرر من التجزئة، الى الثورة الاجتماعية التي تعني ثورة الانتاج وثورة في امتلاك وسائل الانتاج والتي تعني الاشتراكية وتعني توفير الوسائل التي تتيح للمواطن العربي أن يناضل ضد الاستعمار ويكون نضاله ناجحاً ناجحاً، وأن يناضل ضد التجزئة وأن يصل الى تحقيق الوحدة. قلت: كما ان الحزب نما ومر بهذه المراحل بشكل طبيعي لا اصطناع فيه، كذلك أرى أن هذه المدينة قد مرّت بشكل طبيعي بهذه المراحل أيضاً، فانتقلت على يد حزب البعث ومناضليه من مرحلة الوطنية العامة العفوية الى مرحلة الوطنية المعمقة التي تدرس الجوانب الاجتماعية، في حياة المواطنين، والتي تبني بهذا الشكل نضالها على أمتن الأسس وأصلب الأسس، أي على الطبقات الشعبية ذات المصلحة في التحرر من الاستعمار وذات المصلحة في التحرر من التجزئة، وذات المصلحة في التحرر من الاستبداد والاقطاع والراسالية المستغلة.

فكان عمل البعث في هذه المدينة تكملة طبيعية وضرورية للمرحلة الوطنية وهذا ما أعطى لنضال هذه المدينة ذلك المركز المرموق، لأنها عرفت كيف تتابع نضالها وتتابع

تطورها، ولا تتوقف وتتجمد عند مرحلة الوطنية التي لا محتوى لها، بعد تغير الظروف وجلاء الأجنبي المحتل، فانها اذا لم تعط المحتوى الاجتماعي الذي اعطا حزبنا فانها تتحول الى شعار خادع يخفي المصالح الأثمة التي تستغل الشعب وتستعبده .

### أيها الرفاق

بودي أن أحدثكم طويلا، واذا لم أتمكن من الاطالة في هذه المرحلة فامل أن أستطيع اكمال حديثي اليكم في مرة ثانية .

إني أفضل أن يكون حديثي من خلال ما يجول في أذهانكم من أسئلة ومن خواطر في هذه الظروف القومية العصبية التي تهزّ الوجدان العربي، إذ أني لأحب أن يكون الكلام من طرف واحد، وأن يلقي كتلقين وتدرّيس . . أرى أن الفائدة تتحقق، وأن طبيعة الحزب الثوري الشعبي أن لا يكون فيه فرض للأفكار وللتقسيمات، وأن يصل الى ذلك بالحوار والتفاعل بين المناضلين، بين القيادة والقواعد . . وكثيراً ما تلهمني أسئلة الرفاق في قواعد الحزب أفكاراً وتنبهني الى ملاحظات أكون غافلاً عنها أو ناسياً لها، ولعلكم تعرفون بأن الأحاديث التي قيلت في هذا الحزب منذ بدايته وعلى مدى سنين طويلة كانت نتيجة هذا التفاعل وهذا الحوار، لذلك أترك لكم المجال كي تطرحوا أسئلتكم وملاحظاتكم .

### الاجابة على الاسئلة

سوف تكون أجوبتي غير خاضعة لتسلسل الأسئلة لأن هناك بعض الأسئلة متشابهة، ولكن أرجو أن أتمكن من الاجابة على الأسئلة كلها .

في أكثر من حديث، صارحت أعضاء هذا الحزب، صارحت قواعد الحزب، ليس في قطر واحد بل في أكثر من قطر، بأن نشوء هذا الحزب وتطوره لم يكن مثل بقية الأحزاب والحركات الثورية، ولم يجيء دوماً مطابقاً للرغبات والأمانى التي كنا نتصورها في البداية، والسبب في ذلك لا بد أن يرجع الى شيئين :

نقص في الحزب نفسه أولاً، ثم طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة أو التي وصلت اليها أمتنا في مسيرتها التحررية ثانياً .

اذن التفسير لا بد أن يأخذ بالاعتبار هذين العاملين، شيء متعلق بالحزب،

بتكوينه، بأشخاصه، بظروفه، بتنظيمه، بوسائله . . وشيء آخر يتعلق بالمجتمع الذي يعمل الحزب فيه .

عندما نريد أن نياس ونتشاءم نجد مبررات كافية وأكثر من اللزوم للتشاؤم والياس، وعندما يحلو لنا أن نعتز بأنفسنا أيضاً قد لاتعوزنا الأدلة لكي نرى أننا سبقنا غيرنا وحققنا أشياء لم يستطعها غيرنا .

ولكن الحقيقة الموضوعية هي بين الغرور والتشاؤم . بعد ثلاثين سنة من العمل في هذا الحزب وما تحلل هذه الأعوام الثلاثين من نضال ونشاط وانتاج، وأحياناً من جمود وفتور في العمل وضياع وتشويه، بعد هذه المدة الطويلة أستطيع أن أقول انه كان يمكن لحزب البعث أن يكون على صورة أحسن مما هو عليها، أن يعطي نتائج خيراً من التي أعطاهها، أن يكون تنظيمه أقوى وأنضج وأكثر استمرارية، أن تكون أفكاره أوضح، أكثر علمية في العرض والتبويب والشرح . . أن تكون خطواته السياسية فيها أخطاء أقل مما وقع، أن تكون مدروسة أكثر، أن تكون أقل عفوية وارتجالاً، أن تكون نتيجة خطة واستراتيجية، كل هذا وأكثر منه يجوز قوله، ولكن الى حد . وهذا ما ألفت اليه الأنظار: بأن هذا المستوى الأفضل والأرقى الذي كنا نحلم به ولم نستطع بلوغه وكلني يمكن أن يتحقق ما هو أفضل نسبياً فقط، بدرجة نسبية من المستوى المتحقق . ان العامل الثاني الذي أشرت اليه وهو المتعلق بالمجتمع وبطبيعة المرحلة التي وصلت اليها الأمة، في تطورها، يفرض حدوداً للتحقيق، أي ان الأمانى لاتكفي والارادة وان تكن خلاقة فانها أيضاً لاتكفي، لاتستطيع أن تتجاوز امكانيات مرحلة معينة في حياة الأمة .

صحيح انه كان بالامكان لولا نواقص معينة وعثرات وأمراض والمخ . . لجاء الحزب على مستوى أفضل . ولكن الانتساءل لماذا لم يظهر في هذا الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط، لماذا لم يظهر حزب كحزب البعث ويتلافى الأخطاء كلها أو بعضها أو أكثرها تلك التي صدرت عن حزبنا، الخ؟؟ . .

فاذن هذا يرجعنا الى الواقع، ويرينا الحدود التي يفرضها الواقع، ويبقى أمامنا مجال واسع رحب للتصحيح وللتحسين وللسير نحو الأفضل، هذا في داخل الحزب، في مجال الفكر، في مجال الانتاج الفكري والثقافي، في مجال التنظيم والعمل مع الجماهير

وتوعيتها وتثقيفها والتعاون معها في القضايا الاجتماعية . .

لم أقصد من الإشارة الى طبيعة المرحلة والحدود التي تفرضها انه لا يوجد مجال للسير نحو الأفضل انما أيضاً لو كانت طبيعة المرحلة التي تجتازها الأمة قابلة للاكثر- نوعياً وليس كمياً - كان يمكن أن يأتي الحزب أكمل من الناحية الكمية .  
من الناحية النوعية هذا متعلق بطبيعة المرحلة ولولا ذلك لولد ذلك الحزب الكامل، لأن لأحد يمنعه من الظهور، ولأن لأحد يمكن أن يمنع ولادة حركة عميقة أصيلة .

### أيها الرفاق

رفضنا اليأس والتشاؤم كما رفضنا الغرور، ولكننا نطلب التفاوض وكننا دوماً متسلحين به منذ بداية عملنا في هذا الحزب .

التفاوض فضيلة نضالية ولا تتعارض مع النظرة الموضوعية ولكن هي تعبير من جهة عن نفاذ البصيرة الثورية التي ترى ما هو كامن في الأمة وفي الشعب، ما سوف يتحقق بعد حين وان لم يكن الآن متحققاً، وهو تعبير من جهة أخرى عن ارادة النضال والاستمرار وعن روح الكفاح وعن تحقيق شخصية الانسان العربي من خلال الكفاح والنضال، فلأنه مصمم على هذا، ولأن هذا سر وجوده ومعنى حياته فلا بد له أن يتفاهل .

أفكار الحزب كما يعرفها الكثيرون، وكما أشار بعض الرفاق في أسئلتهم الى أنها جاءت في كثير من الأحيان أحاديث مثل هذا اللقاء وهذا الحديث، ومقالات في مناسبات، وهذا له تفسيره، تفسيره الذاتي والموضوعي .

الأشخاص لا يمكن أن نفرض عليهم ما ليس في طبيعتهم . هناك من يؤلف الكتب بالشكل المدرسي المعروف، بشكل البحث العلمي، وهناك من يتفاعل مع التجربة النضالية ويأخذ الأفكار حية من هذه التجربة، على غير أسلوب البحث المعروف، التفسير الذاتي هو طبيعة الشخص الذي يكتب ويتحدث والتفسير الموضوعي يرجع الى ظروف الحزب، ظروف الحركة .

لاشك أنكم تعرفون عن الحركة الشيوعية أشياء كثيرة لأنها أصبحت شائعة

ومتداربة ومعروفة على أوسع نطاق . . وجدت النظرية، وضعت الكتب والأبحاث العميقة التي استغرق وضعها سنين وسنين. ماركس أبو الشيوعية وواضع نظريتها، وضع مؤلفاته خلال سنين طويلة ثم جرت المحاولات لتأسيس الحركة، وتعثرت المحاولات وفشل بعضها الى أن استقرت وسارت في طريق مستقر ومستمر.

حزب البعث لم ينشأ بهذا الشكل، وكثيراً ما قلت ذلك ووضحته للقواعد في أكثر من مناسبة، والآن في كلمتي الأولى عندما حدثتكم عن نشأة الحزب وبينت لكم أن الرصيد، رصيد الأصالة والسلامة في تركيب هذا الحزب آت من نشأته الوطنية، وانه قبل أن يعمل للاشتركية ولشتى النظريات الاجتماعية كان يلبي نداء الواجب الوطني والشعور الوطني.

والسنوات الأولى من تاريخ الحزب معروفة، معارك الحزب، حتى قبل نشوء الحزب هناك تاريخ لمؤسسيه ولبعض رفاقهم قبل تأسيس الحزب، هناك تاريخ نضال وطني ضد الانتداب، ضد الاحتلال، ضد العملاء، وهناك وقائع قد لا تكون معروفة على نطاق واسع ولكنها ليست سراً من الأسرار.

فالحزب بدأ بتلبية حاجات ونداءات ملحة، لم يبدأ بوضع نظريات، ولو أن الأفكار كانت منذ البداية في حالة تصور عام، شهد على ذلك، كتابات سابقة لتأسيس الحزب، ولكن الأفكار ولدت مع الممارسة عدا التصور العام الذي كان سابقاً، فأفكار الحزب هي وليدة النضال، وليدة الممارسة.

ظروف أمتنا، ظروف مجتمعتنا لم تمهلنا، لم تسمح لنا أن نعمل كما عمل فلاسفة الشيوعية، دخلنا النضال ببناء بسيط ولكنه جوهري، زاد من الفكر والثقافة القومية والانسانية، وبدأت هذه الأفكار البسيطة المكثفة، بدأت تتفصل وتتفرع وتنوع خلال الممارسة.

يحدث أن أشياء كتبت قبل عشرين سنة أوقيلت قبل خمس عشرة سنة، وبقيت مسجلة على السورق ظن انها فهمت أو استوعبت، وربما تكون فهمت من الشباب، لكنها لم تدخل في حياة المجتمع، لم تؤثر، لم تغير، لم تصل الى الذين بيدهم وسائل التأثير والتغيير، بقيت أفكاراً عائمة، والآن في هذه السنة أو قبل سنة أو سنتين، نجد

لبعض هذه الأفكار معنى حياً متجاوباً مع حاجات راهنة موجودة الآن . . . تنكشف لنا آفاق نتيجة تطور الأحداث، نتيجة اغتناء التجربة القومية، نتيجة مامر على أمتنا من فترات تقدم وفترات انتكاس وتقهقر.

نجد أن هذه الأفكار تأخذ، كما لو كان لأول مرة، معناها، كأن لم يكن لها معنى في الماضي، لأنها بقيت دون تأثير. ماذا نستنتج من ذلك؟  
نستنتج شيئين: شيئاً متعلقاً بالحزب، وشيئاً متعلقاً بطبيعة المرحلة أي بالمجتمع العربي.

الحزب لم يكن في كل الأوقات وربما لم يكن في معظم الأوقات مسيطراً على نفسه سائراً حسب خطة وحسب برامج وحسب استراتيجية تنظيمية كالجسم الحي، كالعضوية الحية، له رأس يوجه ويقود. . . هناك تربية كما ذكر الرفيق، تربية يعطيها الحزب لأعضائه فيختلف مستواهم عن الزمن الذي كانوا فيه خارج الحزب، تتغير شخصيتهم ولوائهم في أساس الشخصية يقون هم، هم، إلا أن الشخصية تتفتح، وتُكتشف كنوزها وخبراتها وتتمرن وتتمرس وتنضج من التجربة.

هكذا يكون الحزب الثوري الصحيح السليم، يكون فاعلاً، يكون خلاقاً، أي لا يكتفي باعطاء الأفكار دائماً، يربي الشخصية، وهذا مع الأسف ضعيف جداً في حزبنا، لأقول أنه لا توجد بين البعثيين صفات مشتركة. . . وشيء يمكن، بتجاوز كبير، أن نسميه الشخصية البعثية، ولكن بصراحة، هذا ضعيف ودون المستوى المطلوب.

لم توجد في الحزب تربية حزبية بالمعنى الصحيح، تربية للعقل والروح والأخلاق، تربية للعمل والممارسة والنضال، والعمل في داخل المجتمع، في التعاون مع فئات الشعب.

هذه نواقص إذا كنا نطرحها بهذا الشكل الصريح، وقد طرحتها مراراً وخلال سنين، فلأني لم أفقد الأمل بأن الحزب يستطيع أن يصحح، يستطيع أن يسيطر على نفسه، يستطيع أن يمتلك الصورة الصحيحة عن مهمته التاريخية، عن واجباته، عما يجب أن يعمل وأن يكون عليه. . . وإن الوقت لم يفت وأنه إذا كنا مضطرين ومن واجبنا أن

لانجد لأنفسنا الأعذار لثلاثتها ونترأخى . ايضاً يجب بين حين وآخر أن ننظر الى حركتنا نظرة تاريخية لانظرة الأفراد، ونظرة الحاضر، ونقيسها بعمر الفرد ونقول : مضت ثلاثون سنة وما زلنا نعاني أمراضاً ونواقص فادحة ، هذا شيء مفيد أن نتنبه الى نواقصنا ولكنه من المفيد والضروري ايضاً أن نقول بأن ثلاثين سنة ليست شيئاً كثيراً في حياة أمة وان الحزب يستطيع في كل لحظة ، أن يتدارك نفسه ويتدارك أخطائه وأن يدخل عنصر الارادة بشكل قوي لأنه لم يستعمل هذا العنصر، كما يجب ، في الماضي . وأن يدخل معركة مع ذاته ليصحح ويسد النقص ويبني نفسه بناء جدياً . . والوقت لم يفت ، وعلى العكس كل هذه الأخطاء والعثرات وحتى النكسات الكبيرة يمكن أن نحولها الى فوائد ونفع كبير ، عندما ندرسها ونحللها ونخضعها لقوانين العلم والتجربة الثورية ونقارن تجربتنا مع تجارب حركات ثورية في العالم .

الوقت لم يفت ، بل هناك فرصة كبيرة لأن الساحة شبه فارغة ، والأمة تنادي من يقودها في الظروف الحالكه ، والحزب رغم كل ما افتري عليه وكل الدعايات الاستعمارية والرجعية ، يبقى له رصيد في ضمير الأمة ويبقى متمتعاً بثقة غير قليلة .

تكلمت عن البداية . . فلننتقل حتى لا يتجمد الحديث على نقطة . لننتقل الى ظروفنا الراهنة ، ظروف الأمة الراهنة ، الى سؤال طرحه رفيق لكم هو سؤال يطرحه كل عربي اليوم : كيف نرفض الحل السلمي رفضاً عملياً وجدياً وليس بالكلام واللسان فقط ؟

هذا يضطرنني أن أعود الى أفكار الحزب والى الماضي ايضاً .

### أيها الرفاق

الحزب وضع تصوراً للثورة العربية لم يأخذ شكل البحث العلمي ولكنه واضح ، ويمكن رؤيته والرجوع اليه من بداية الحزب حتى الآن وخلال كل هذه الأعوام . . نظرة واحدة تتكرر ، نظرة واحدة تفرض نفسها ، هذه النظرة لم يشارك الحزب فيها أخذ من الحركات أو الأنظمة التقدمية وما سمي بالثورات وبالأنظمة الثورية في الوطن العربي ، لذلك فان ما يسمى بالحل السلمي المستمد من قرار مجلس الأمن ، والذي



جاء على أثر هزيمة حزيران، يمكن للبعثيين أن يقولوا بأن الذين قبلوا بالحل السلمي في قرار مجلس الأمن في عام ١٩٦٧ كانوا قابلين به قبل ذلك بعشر أو خمسة عشر عاماً. لم يقبلوه كشيء جديد، كانوا قابلين به ضمناً لأنهم لم يأخذوا بالنظرية الثورية الصحيحة. النظرية الثورية الصحيحة لخصّها حزبنا بشيئين: الوحدة. والنضال المستمر من أجل التحرر والتحرير. او: الوحدة والتحرير.

الأنظمة التي قبلت بالحل السلمي قبل ذلك، أي منذ اليوم الأول لنشوئها، قبلت بالقطرية ورفضت النضال، رفضت نضال التحرير، رفضت أن تجعل قضية فلسطين هي مركز ومحور نضالها، ولو ادعت أحياناً غير ذلك مجرد ادعاء. الحزب خلال ثلاثين عاماً ألح على هذه الفكرة، الوحدة العربية بالنضال، وحدة النضال.

من أجل تحقيق أهداف الثورة العربية، أهداف الأمة العربية في أن تحرر أرضها وتحرر مصيرها من كل ضغط وسيطرة استعمارية، وتكون مالكة لآرادتها ومصيرها، وأن تنظم مجتمعتها التنظيم السليم العادل الذي يضمن أكبر مردود وأحسن إنتاج للوطن والمواطنين. . . بيني الوطن مادياً وبينني المواطن معنوياً وروحياً وفكرياً. .

أول تجربة للوحدة في هذا العصر دخلها الحزب وساهم فيها وعلق عليها الآمال الكبار لكي تكون بداية للتحرير: لورجعتم الى كتابات الحزب، تجدون هذا الكلام الصريح الواضح: ان الوحدة تقود الى الثورة والثورة تقود الى الوحدة.

ماذا عملوا بتلك التجربة بدلا من أن تسير على أساس النضال المستمر، النضال الثوري لكي ينتقل ويشمل بقية الأقطار في استراتيجية للوحدة من أجل التحرير، أي توحيد النضال من أجل التحرير، كانت حقيقة تلك الوحدة التي استبعد الحزب من التأثير فيها، ومن الفعل فيها، ووضع على الهامش منذ الأيام الأولى، كيف نفذت وكيف كان المخطط؟ المخطط انها وحدة مغلقة تقتصر على هذين القطرين وتجعل هدفها التنمية لا التحرير.

التنمية بديلا عن التحرير، الهاء عن التحرير، ولكن الحزب كان دوماً قبل هذه الوحدة بسنين، وأثناءها وبعدها، يلح على أن كل تنمية لا تكون ضمن استراتيجية

التحرير ومعركة التحرير هي فاشلة، وعاجزة، وكل تنمية قطرية تبقى دون قوة العدو، وقوة الاستعمار والصهيونية بكثير. التنمية خارج استراتيجية التحرير ومعركة التحرير هي تسوية مع الاستعمار واسرائيل بصرف النظر عن النوايا.

التنمية لكي تكون مجدية يجب أن تكون تنمية للمعركة وليست بديلاً عن المعركة، وتنمية في إطار الوحدة، وعندها تكون مجدية، لأننا انطلقنا من هذه المسلمة بأن ليس غير مجموع أجزاء الوطن العربي بقيادة على أن تتكافأ مع متطلبات المعركة ضد الاستعمار والصهيونية. القطر مهما يكن كبيراً وغنياً بالامكانيات يبقى دون متطلبات المعركة . .

الوحدة فقط والتي تتحقق بالنضال ووصفناها بأنها الوحدة المقاتلة، الوحدة التي يتسلح فيها الشعب، جماهير الشعب، الوحدة التي تبدأ بوحدة النضال، وتتم التنمية على نطاق الوطن العربي الموحد أو السائر نحو التوحيد ومن أجل دخول معركة التحرير، هذه التنمية هي التي تبقى والتي تجدي وتكافأ مع قوى الأعداء.

أما كل شيء آخر يذكر عن التنمية هو بين جهل وتضليل، والجهل داخل على الأقل في الماضي، الآن امكانية الجهل محدودة جداً بعدما تكشف من هزيمة حزيران ونتائجها.

ولكن قبل عشرين سنة وقبل خمس عشرة سنة، هذا النظام التقدمي الذي ظهر في مصر قبل تسع عشرة سنة لم يكن نظاماً عادياً ولم يكن بلا انجازات وبلا فوائد وبلا نواحي ايجابية، انه حدث كبير في تاريخ العرب المعاصر نظراً لأهمية مصر ولكون هذا الانقلاب الذي حدث في مصر، أخرجها من طور الى طور. ولأن التطور السياسي كان عاجزاً عن ادراك أهمية الوحدة بالمعنى الثوري، وعن ادراك عجز التنمية حتى ولو كانت في قطر كبير كمصر، عجز التنمية عن أن تسابق الاستعمار في وسائله ومعداته ووسائل سيطرته، لذلك انتقل هذا النظام في المناسبات القومية المصرية من نكسة الى نكسة، من تعثر الى آخر، ليس كما يبالغ البعض فيسيء الظن ويتهم ويلقي الشبهات.

بل لأن النظرة كانت ناقصة، النظرة الأساسية لأولئك العسكريين الذين أحدثوا

الانقلاب في عام ١٩٥٢ كانت ناقصة مقصرة عن ادراك طبيعة المرحلة العربية والعالمية . أنهم لم يفهموا الاستعمار وامكانياته ولم يفهموا الصهيونية وارتباطها العضوي بالاستعمار وبالتالي استمدادها أكبر قسط من قوتها من الاستعمار نفسه، وخاصة لم يفهموا امكانيات الأمة العربية، لم يفهموا أن في الأمة العربية امكانيات غزيرة وضخمة اذا ساروا في طريق التوحيد، التوحيد بالنضال ليس بسياسة الدولة، لاوليس بوسائل المال والأجهزة وانما بالاعتماد على الجماهير التي تصنع الوحدة بالقتال والنضال، وبالتالي تصنع التنمية من خلال المعركة ومن أجل المعركة .

في الماضي أيها الرفاق، كان هناك جهل، عجز عن تصور علمي شامل لطبيعة الاستعمار ولحقيقة الأمة العربية واستعدادها للثورة والنضال، أما اليوم فليس هناك جهل .

اليوم عندما يقال بأنه يمكن الوصول الى حل سلمي عادل وشريف وغير ذلك من هذه الألفاظ، وانه من أجل السلام ينطلق الشعب للبناء والتعمير، لم يعد هذا جهلا بل هو تضليل، لأن نكسة حزيران لم تترك شيئاً خفياً وشيئاً غامضاً، أنها أوضحت كل شيء اليوم تقبم رشوة للأنظمة لكي تخدع جماهير الشعب فترة من الزمن، بالازدهار، بخلق المشاريع الاقتصادية، بتشغيل الناس، ولاتلبث هذه الأنظمة حتى تجد نفسها بعد وقت قصير مطوقة ومستعبدة وأسيرة من قبل الاستعمار واسرائيل، وتجد انه لا مجال للبناء وللتعمير، طالما أن العدو هو الذي يرسم ويخطط ويضع الحدود والسدود وهو قادر أن يمنع ويوقف كل حركة بناء وكل تنمية . هذه التنمية اكثر من مشبوهة، هي تنمية مؤقتة لتمرير الاستسلام . . اشغال الناس بالكسب الوهمي الخادع في الفترة الأولى حتى يصحوا على العبودية .

الحزب اذن كان دوماً ضد هذه النظرة، ضد هذا التصور، النقص أين هو؟ النقص ان الحزب لم يمتلك كل الامتلاك مصيره ومقدراته، لم يمتلك كما يريد ارادته ووسائله، حتى يحقق ما هو قانع به، وحتى ينفذ بأمانة أفكاره .

الحزب اذا بقي، اذا أمضى عشر سنوات أخرى تضاف الى الثلاثين سنة من عمره، اذا أمضى عشر سنوات من أجل هذه الغاية فلن تكون سنوات ضائعة .

أن يسيطر على نفسه وعلى وسائله، أن تكون له قيادة أقرب من طبيعته ومن أفكاره، وأن تكون متجاوبة، متفاعلة مع قواعده ومع جماهير الشعب، فإنه يستطيع أن يحقق أهدافه كلها.

المعركة الكبرى بالنسبة الى الحزب هي المعركة مع ذاته، ولكن هذا لايعني أن نترك النضال ونترك الأمة في محتتها. اننا نصل الى السيطرة على أنفسنا ووسائلنا بمشاركة شعبنا معركته وبالمزيد من الممارسة النضالية بين الجماهير. القيادة تخرج من النضال والممارسة لامن النقاش. تفرض نفسها بشجاعتها، بوضوحها، بنضالها، بسلوكيتها.

### أيها الرفاق

اليوم وقع بصري على عنوان كبير في جريدة «لوموند» الافرنسية، لم أقرأ كل المقال، ولكن فهمت ما هو المقصود منه، ثم ذهب فكري الى المقارنة مع حالتنا وأوضاعنا العربية.

عنوان المقال «من العظمة الى السعادة»، والمقصود فيه - لأنني كنت قد قرأت شيئاً بهذا المعنى من قبل -، الكلام عن الرئيس الفرنسي الحالي، الذي خلف ديغول والذي يتبع سياسة يصورها الكاتب اسعاد الشعب اسعاد المواطنين. سعادة بمعنى الرفاهية، مقابل السياسة التي كان ينتهجها ديغول، وهي سياسة العظمة، سياسة الرسالة، المصير الكبير، المصير التاريخي.

الدور الانساني لأمة من الأمم . . . تساءلت - ولوان الفوارق كثيرة وكبيرة بين وضعنا وبين وضع دولة من دول الغرب - هل مثلاً هذه السياسة التي تطبق الآن في مصر أو يمتنى بها الشعب أو حتى من قبل عند القبول بالحل السلمي وبمشروع روجرز . . . كم أسهبوا في وصف مغريات السلم، السلم والأمن والبناء والانصراف للعمل والانتاج وسعادة الأفراد والتعليم وشتى الصور الجذابة! قبل نكسة حزيران كان العرب وخاصة النظام في مصر، والرئيس عبدالناصر بالذات هو يمثل هذا النظام وهذه السياسة، سياسة العظمة، الدور الكبير، الدور الدولي، الدور التاريخي. ثم يأتون الآن ويضربون على وتر السعادة، سعادة المواطنين . . . أمنهم . . . رخاء معيشتهم.

فقلت في نفسي : حتى هذا لا يصح علينا . بالنسبة لفرنسا نفسها هذا يمثل هبوطاً من ديغول الى بومبيدو، انه هبوط من الدور العالمي الى الانشغال بالداخل واهتمام بالربح وتحسين المعيشة، ولكن هذا كلام صحيح . من بعد لعب الأدوار العالمية ربما يتعب الشعب، ويحن الى الراحة، الى الاستمتاع، الى الربح، هناك انتقال من العظمة الى السعادة .

لكن بالنسبة الينا، في ظروفنا هذه، لا بديل عن الدور التاريخي ، لأنه اذا تخلينا عنه لانهبط الى السعادة والرخاء بل الى الفقر والشقاء، الى الذل والبؤس . دور العظمة بالنسبة الى العرب هو دور النضال، والصمود، والاستمرار بمعركة التحرير .

لو كنا مستقلين، لو لم نكن مطوقين، لو لم نكن مجزئين، لكان يصح أن نتعب فترة ونميل الى الرخاء والراحة والعيش في ظل الأمن وتحسين المعاش والأحوال، ولكن العدو سيتغلب علينا ويفرض شروطه اذا تخلينا عن دور النضال والصمود والمقاومة . نتخلى عن لقمة الخبز لأن هذه اللقمة لم يعد ممكناً كسبها الا بالنضال، واللقمة التي تأتي بدون نضال هي رشوة مؤقتة لكي ينفذوا مآربهم في ترويض هذا الشعب وفي فرض العبودية عليه .

وبعد هذا، أي الفضائل ستمنع الاستعمار من نهب أراضينا، واسرائيل عن استغلال خيراتها؟ أم أن بقاءهم رهن بأن نبقي فقراء وضعفاء عائشين في الانحلال الخلقى وحكم العصابات وحالة الانحطاط والجرائم والتناقضات التي تمنع الشعب من أن يتوحد ويقاوم .

هذه ظاهرة لها علاقة بموضوعنا : ليس لنا خيار، ليس صحيحاً أن الرخاء ممكن، وأن الأمن ممكن، وأن التنمية ممكنة، هذا جهل وتضليل . صحيح انه لا تزال توجد كمية غير قليلة من الجهل، لكن التضليل أوسع وأكبر .

#### أيها الرفاق

عن موضوع الاتحاد الذي طرحته ونشر في «الأحرار»، اني أضيف شيئاً جديداً على التوضيح الذي قدمته والذي وصلكم، ولكنني بهذه المناسبة أكرر بأن الدعوة كانت

موجهة الى الجماهير ولم تكن موجهة الى الأنظمة، ثانياً الاتحاد الذي اقترحه كبداية لدخول معركة التحرير وبداية لوحدة أوسع قد تشمل الوطن العربي أو أكبر جزء منه، هذه البداية لم أقترحها دون أن أقترح معها ما يمهد لها حتى تصبح ممكنة وتصبح بداية سليمة وليست بداية مصطنعة تفشل عند أول صدمة.

قلت: يجب أن نعيد النظر في السنوات العشر الماضية وما افتعله الاستعمار والرجعية وأعداء الأمة العربية من انقسامات في داخل صفوف الثورة العربية.

يجب أن نعيد النظر في ذلك بالتحليل العميق والنقد الذاتي النزيه الصريح ومصارحة الجماهير لنجد بعدها أن تلك الانقسامات كانت مفتعلة، وأنها كانت مخطئاً استعماريًا مقصوداً، وأن بعض الفئات الوطنية سارت بها دون وعي لتائجها، واننا اذا مشينا في هذا الطريق، طريق المصارحة والنقد الذاتي والارتفاع الى مستوى المعركة والاهتمام بالتناقض الأساسي الذي هو تناقضا مع الاستعمار والصهيونية والرجعية نستطيع أن نشكل بداية للوحدة التي تقاتل وتدخل معركة التحرير.

وقلت أيضاً أن هذا أقرب الى الحلم والتمني منه الى الواقع، ولكن يجب الانقنع بهذا الواقع الكسيح، ويجب أن نطمح دوماً الى المستوى التاريخي في ظرف يتقرر فيه مصيرنا جميعاً ولعشرات السنين.

طبعاً أنا قانع بأن هذه هي البداية السليمة وهي على صعوبتها ممكنة، ولن تجذب أمتنا ولن تعدم من يمثل فيها هذا الطموح وهذا السمو والارتفاع فوق الأنانيات والمصالح الآنية.

لذلك أردت أن أربط الحديث عن هذا الموضوع بالحديث عن مصر. وكنا نتكلم عن مصر.

ليس ثمة حاجة الى تكرار القول الذي جاء في المقال بأن كل اتحاد لا يكون فيه العراق ركناً أساسياً هو اتحاد فاقد للجدية، غير جدي، ولكن يجب أن نوجه انتباهنا الى شيء هو في هذا الظرف خطير في نتائجه.

هناك المخطط الاستعماري الصهيوني القديم الذي يحاول وينجح أحياناً، وقد نجح بالفعل في عزل الأقطار العربية بعضها عن بعض. وفي إيجاد الانقسام بين القوى

الثورية في البلاد العربية، وخاصة بين حزب البعث وبين مصر.

### أيها الرفاق

لوسارت الوحدة عام ١٩٥٨ دون انحراف لتغير وجه التاريخ كله، لأنه بالتقاء حزب البعث بمصر، بالتقاء حزب البعث الذي كان منتشرًا في سوريا والأردن والعراق ولبنان انتشاراً قوياً، هذا اللقاء مع القوة التقدمية الحاكمة في مصر كان يمكن أن يحقق الوحدة العربية والتحرر العربي الكامل.

لكن كان هناك مخطط، ومع الأسف الشديد كان في النظام المصري استجابة لهذا المخطط، بأن يضربوا حزب البعث، فأدى ذلك الى انتكاسة الوحدة والى الانفصال والى كل النكسات التي حصلت فيما بعد. هل نتفرج على مصائبنا وهزائمنا دون أن نعتبر ونستفيد من الدروس؟

تميز حزبنا، والاتجاه الأصيل في حزبنا وهو معروف، تميز بتقدير أهمية مصر وانه لاشيء يمكن أن يتم، لاشيء جدياً يمكن أن يتم في الوطن العربي من دون مصر، هي في موضع القلب والرأس. لأريد التشبيهات القائمة، ولكن أقول: أي انتقاص من أهمية مصر هو مكابرة وانحراف وبعد عن الخط الثوري.

ولكن ما العمل والذين بيدهم المقدرات في مصر يرفضون هذا اللقاء وهذا التقدير منا، لأن هناك المخطط الاستعماري، ويفعل فعله باستمرار ليمنع لقاء هاتين القوتين. فما هو جواب الحزب الثوري السليم الحكيم البعيد النظر؟ هل اذا رفضونا نرفضهم، واذا ابتعدوا عنا نبتعد أكثر، أم نعتبر أننا مسؤولون عنهم كما نحن مسؤولون عن أنفسنا وحزبنا؟ هل مصر بشعبها الكبير، بامكانياتها، بمستواها الحضاري، هل هي بالضرورة هذا الشخص أو ذاك من الحكام، هذا الجهاز أو ذاك من الأجهزة الذين ساروا في تنفيذ مخطط الاستعمار في الانقسام؟ يجب أن ننظر الى مصر في امكانياتها، في ما يمكن أن يخرج منها، في التطورات المقبلة. . يجب أن نساعد على تطويرها على الأقل بأن لا يكون موقفنا منها موقف رد الفعل وموقف الانفعال نتيجة تصرف حاكم أو جهاز في الحكم.

سأروي لكم شيئاً عن مقال كتب هذا الأسبوع في مجلة «الحوادث»، لعلكم

اطلعت عليه أول عمل بعضكم اطلع . الخلاصة أن هذا المقال، وهو في يقيني من وضع الاستعمار وعملاء الاستعمار والمخطط الاستعماري، يستعرض تاريخ علاقة مصر بالعروبة، وبتيار القومية العربية ويقول بأن مصر زمن الانكليز، أي عندما كانت محكومة من قبل الانكليز، كانت تنظر باشتباه، بارتياح، الى التيار العروبي لأنه كان ممثلاً، كان يمثله أشخاص لهم صلات بالغرب بالمستعمرين الانكليز أو الافرنسيين، هذا في بداية القرن، وان هذا التيار ظهر في بلاد الهلال الخصيب التي كانت محكومة من الدولة العثمانية كرد فعل على الحكم العثماني، وانه أي هذا التيار، كان يدعو الى عزل مصر، والى استبعادها من حظيرة البلاد العربية والى آخر هذا الكلام.

ثم يغمز الكاتب من الحزب وينسب الى الحزب أنه هو الممثل لهذه الخطة، خطة عزل مصر، مع أن الواقع أيها الرفاق أنه لم توجد حركة أعطت لمصر ما أعطاه حزبنا من اهتمام ومن قيمة ومن دور في الثورة العربية وفي حركة الوحدة العربية.

حتى أن انشقاقاً كبيراً حصل في الحزب نتيجة لهذا الخلاف، زمن الانفصال يوم ظهرت القطرية في فئة كانت في الحزب وأرادت أن تحمّل مصر وشعبها تبعات أخطاء الحكم الذي كان زمن الوحدة. وهذا يلتقي مع المخطط الاستعماري الذي يريد عزل البلاد العربية بعضها عن بعض لتسهيل مهمة اسرائيل وتوسيعها. فالشواهد اذن على أن الحزب كان دوماً مدركاً، وفي أعلى مستوى الادراك، المسؤولية القومية في ترفعه عن كل ما أصابه من النظام المصري من افتراءات ومحملات ظالمة من أجل الأيدع مجالاً لأحقاد تنشأ ولحواجز نفسية وعاطفية تنتصب بين جماهير الحزب، وهي منتشرة في سورية والعراق ولبنان والأردن بصورة خاصة، وبين الجماهير العربية في مصر.

رغم ذلك والاستعمار في هذا الظرف بالذات مع الرجعية العميلة والمأجورين من الكتاب يحاولون باستمرار أن يثبتوا في أذهان الجماهير هذه الافتراءات، هذا التزوير الفاضح، بأن حزب البعث يعزل مصر عن ساحة العروبة، والعكس هو الصحيح تماماً، لذلك أيها الرفاق أقول بأن حزبنا اذا لم يتمسك بالمستوى التاريخي المترفع عن الخلافات والأحقاد ولعبة السياسة الحقيرة، بالمزايدات وردود الأفعال، اذا لم يتمسك بدوره التاريخي وأنه فوق المخططات الاستعمارية وأنه يفضحها ويعرف مراميها ويتغلب



عليها ببعد النظر وبالتجرد وبالمبادرات التي ياخذها لمكافحة هذا المخطط الانقسامى ولفضح هذه المؤامرة الطويلة التي افترت على حزب البعث شتى الافتراءات ولازالة الرواسب التي تراكمت منذ وحدة ١٩٥٨ الى الآن، اذا لم يحتفظ الحزب بهذا المستوى التاريخي، - والمقال الذي كتبه ينطلق من هذا المستوى - وي طرح مبادرة باسم الحزب فنكون وكأننا نسهل للاستعمار والصهيونية مهماتها وأغراضها.

هذان المستويان المتناقضان موجودان، ووجدا دوماً في الحزب، وبينهما صراع دائم، وجدا في الحزب من بعد السنوات الأولى القليلة بعد أن أصبح للحزب مكانة ووزن سياسي، عندها ظهر المستوى العادي الذي يريد أن يسخر الحزب لأغراض السياسة العادية وهذا لا يكون الا على حساب رسالة الحزب التاريخية.

### أيها الرفاق

أنتم تعرفون وتدركون أن هناك مستويين، ولا يجوز أن يبقى هذا التشويه لحقيقة الحزب، لا يجوز أن يتحول حزبنا الى حزب سياسي عادي. فاذا نظرنا اليوم الى ما يجري في مصر، ولخصناه بكلمات ثم تساءلنا: كيف يجب أن يكون موقفنا؟

ان ما حدث في مصر هو بداية وفصل من فصول التغييرات المنتظرة العديدة التي كان لابد أن تعقب غياب الرئيس الراحل جمال عبدالناصر. هناك قوى خارجية وداخلية، قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية، تحاول أن تسيطر على هذه التغييرات وتوجهها لمصلحتها، وتبقيها في الحجم والحدود التي تريدها لها، أي في حدود التنفيس عن الكبت الذي صنعتها أجهزة القمع طوال سنين، وفي حدود انفراج مؤقت ظاهري يلهي عن الهدف الأساسي. ولكن الجماهير العربية هي التي سيكون لها الدور الفعال في احداث التغيير باتجاه الصمود للهجمة الاستعمارية الصهيونية الرجعية وتعبئة جميع القوى من أجل الدخول في معركة التحرير.

ثمة مقارنة تفرض نفسها على التفكير بما يحدث في مصر، وما حدث في سورية قبل بضعة أشهر، وبالرغم من الفروق الهامة البارزة بين الحالتين، فان قانوناً واحداً ينتظم هذه الأحداث والظواهر. فصحيح أن العهد الذي صفي وأبعد في سورية كان حكماً مزيفاً بغيضاً معزولاً عن الشعب عزلة رهيبية، في حين أن التصفية التي تجري في

مصر هي لأقرب الفئات والأشخاص الى الرئيس عبدالناصر. لكن هذه الفروق تبقى في حقيقة الأمر نسبية وأهميتها قليلة في مقياس الظروف الجديدة.

اذ أنه بعد غياب عبدالناصر الذي كان لشخصيته وزن كبير مؤثر، لم يعد اهتمام الجماهير منصرفاً الى المفاضلة بين درجات الاستسلام لمخططات الاستعمار الأمريكي واسرائيل، مادام جميع أهل النظام قد قبلوا بالحل السلمي، وانما القضية أصبحت في نظر الجماهير بين القبول بالحل ورفضه، الرفض الفعلي الفعال الذي يوجه جميع الامكانيات والطاقات وكل العقول والمشاعر في طريق صاعد، في اتجاه المعركة المصرية المحتومة، وفي الطريق الذي يضمن لها النجوع والنصر، أي طريق الوحدة العربية وتسليح الجماهير الشعبية.

والتحول من طريق الاستسلام على اختلاف درجاته الى طريق الصمود والاعداد والقتال لا يكون في التعلق بأذيال الماضي والتشبث بأشكاله الفارغة الجوفاء. التغيير أصبح حاجة ملحة عميقة محتومة.

ولن يأتي دفعة واحدة ولن يتوقف عند حد. المهم معرفة القوى التي ستفيد من التغيير. فالاستعمار والصهيونية والرجعية تتدخل بشتى الحيل والأساليب لتوجه هذا التغيير لمصلحتها، أي لتصفية القوى الثورية وارجاع قوى الرجعية والاستغلال والاستسلام الى مراكز القيادة والحكم.

فواجب القيادات الثورية أن تحبط مخططات الأعداء وأن تتقدم تيار التغيير لتوجهه لمصلحة الجماهير الكادحة واعدادها للصمود ومعركة الوحدة والتحرير.

### أيها الرفاق

ان الظروف مواتية لكي يبادر الحزب ويتقدم بجرأة ويرفع صوته. واذا أراد حزبنا أن يكون له دور تاريخي قومي فلا يجوز أن يتصرف بردود الأفعال، ويجب أن نضع دوماً نصب أعيننا أهمية مصر ودور مصر في كل معركة قومية، وفي هذه المعركة بصورة خاصة.

### أيها الرفاق

أشعر أني أطلت عليكم مع اني كنت مصمماً على الاختصار لضرورات خاصة

تضطرنى أن أعود الى بيروت، ولكن هذا الزمن الطويل الذي كنت أشعر فيه بالحاجة الى لقاءكم وعدم توافر الظروف لتحقيق ذلك جعلني أترسل وأرتاح في التحدث اليكم بأسهـاب، وأنا أدرك أيضاً أنني لم أستطع تناول كل النقاط التي طرحها الرفاق في أسئلتهم، ولكن أرجو أن يتاح ذلك في لقاء آخر والسلام.

حزيران ١٩٧١